الدرس الحادي والأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . اللهم علِّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علَّمتنا وزدنا علمًا ، وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين . أما بعد :

قال الإمام الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله تعالى في كتابه المعنون بـ«عمدة الأحكام» :

كَتَابُ الصِّيَام

بابُ ليلةِ القَدرِ

٢٠٩ – عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رِجَالاً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْمَنَامِ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ ، فَقَالَ رسول الله صلى الله عليه

وسلم : ((أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ)) .

****

قال المصنف الإمام عبد الغني المقدسي رحمه الله تعالى : **((بابٌ ليلةُ القَدرِ))** ؛ هذه ترجمة عقدها المصنف رحمه الله تعالى لبيان عظيم فضل هذه الليلة ليلة القدر – اللهم بلغنا إياها أجمعين وغنّمنا خيرها يا رب العالمين– وهي خير الليالي وأفضلها على الإطلاق ، ليلةٌ عظيمةٌ بركتها كثيرةٌ خيراتها ، ليلةٌ وصفها رب العالمين بأنها ليلة مباركة ، أي أنها عظيمة البركة عظيمة الخيرات ، ووصفها رب العالمين بأنها سلام أي لا شر فيها ، فهي ليلة كلها خيرات، كلها بركات ، كلها غنائم وأرباح ، ولا شر فيها سالمة من الشر حتى مطلع فجرها ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[القدر:٥] فليس فيها شر ، ومن حُرم بركات وخيرات هذه الليلة فهو محروم والعياذ بالله غاية الحرمان .

ومن خصائص هذه الليلة أن الملائكة تنزل –ملائكة الرحمة– والملائكة ملائكة الرحمة تتنزل مع الخيرات والبركات ؛ وهذا من دلائل عظيم شأن هذه الليلة .

ومن عظيم شأنها : أن الله سبحانه وتعالى فخَّم أمرها سبحانه وتعالى وأعلى من شأنها بقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾[القدر:١-٢] تفخيمًا وتعليةً لشأن هذه الليلة العظيمة المباركة ، ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[القدر:٣] ليلة واحدة فضلها والثواب فيها أعظم من ألف شهر ، وألف شهر إذا حسبْتها بحساب السنوات فإنها تزيد على ثمانين سنة ؛ ثلاث وثمانين سنة وأشهر ، أي عمر رجل معمَّر ، أعمار الأمة كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام ما بين السبعين والستين ، فهي عمر كامل لرجل معمر لرجل طال عمره ، فهي تعدل ثواب هذه المدة من العمر ليس فيها ليلة القدر ؛ وهذا كله من الدلائل على عظيم مكانة هذه الليلة وأن العبد ينبغي أن يحرص على تحريها أن يتحرى هذه الليلة المباركة ، وأيضا أن يكون مشتاقًا لبلوغها ومتحريًا للعبادة فيها وحفظ الوقت في طاعة الله سبحانه وتعالى والتقرب إليه جل في علاه .

وسميت هذه الليلة بـ«ليلة القدر» :

❐ قيل لعظم قدرها ؛ فهي ليلة عظيمة القدر رفيعة الشأن عليَّة المكانة .

❐ وقيل لعظيم قدر العبادة فيها وأن ثواب العمل فيها مضعَّف لعظيم خيراتها وبركاتها .

❐ وقيل إنها سميت كذلك لأنها فيها يفرق كل أمرٍ حكيم ؛ أي يقدَّر ما هو كائن إلى ليلة القدر الأخرى ، كما قال الله ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٤] أي يقدَّر . والتقدير هنا تقدير سنوي وهو داخل في التقدير العام المكتوب في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وهو تقدير من بعد تقدير ليس خارج عن التقدير العام وإنما هو داخل فيه .

الحاصل أنها ليلة شريفة وعظيمة ومباركة وينبغي أن يكون لها شأنٌ عظيم عند كل مسلم ، مع أن أعداء دين الله أخزاهم الله يعملون جاهدين على حرمان أبناء المسلمين وبناتهم من بركات هذه الليلة ، ولهذا بعض أعداء الدين يعِدُّون برامج مسبقة يعدُّونها قبل رمضان حتى يفوِّتوا على شباب المسلمين وشاباتهم خيرات ليالي رمضان عمومًا وخيرات هذه الليلة على وجه الخصوص ، مما يترتب عليه حرمانهم من هذا الخير . وينبغي أن يكون كل مسلم ناصحًا لنفسه ولولده معظمًا لهذه الليلة المباركة معتنيًا بتحريها في العشر الأواخر من رمضان ؛ فيشد مئزره ويوقظ أهله ويحيي ليله تأسيًا بالنبي الكريم عليه الصلاة والسلام وتحريًا لخيرات تلك الليلة وبركاتها العظيمة .

أورد المصنف رحمه الله تعالى تحت هذه الترجمة جملة من الأحاديث بدأها بحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما : **أَنَّ رِجَالاً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْمَنَامِ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ** ؛ هذه الرؤى المتواطئة المتوافقة للصحب الكرام لليلة القدر في السبع الأواخر من رمضان تدل دلالة بيّنة على عظيم اشتغال قلوبهم بتحري هذه الليلة وشديد عنايتهم بتحريها وطمعهم الشديد في تحصيلها ؛ فأكرمهم الله سبحانه وتعالى بهذه الرؤى المنامية المتواطئة على أن ليلة القدر في السبع الأواخر أي من رمضان .

والرؤى المنامية يُستأنس بها ولا يُعتمد عليها ؛ ولهذا لا يصح أن يُجزم بأن الليلة الفلانية هي ليلة القدر لكون فلان من الناس رأى في المنام أنها ليلة القدر ، حتى وإن كانوا أكثر من واحد ، بل وصار الأمر في الرؤى المنامية أنه يستأنس بها لا أن يُعتمد عليها ، ومن يعتمد على الرؤى

المنامية ربما فرط في بقية الأيام من ليالي الشهر ، ولربما كانت الليالي التي فرط فيها هي ليلة القدر .

والصحب الكرام رضي الله عنهم لما رأوا تلك الرؤية لم يعتمدوا عليها والنبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : ((**أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا** -يعني ليلة القدر- **فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ**)) ؛ تحري الصحابة لها في السبع الأواخر هل بُني على الرؤية مجردةً ؟ أو بُني على تأييد النبي عليه الصلاة والسلام ؟ تأمل ذلك والجواب عليه واضح .

قال ((**أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ**)) ومعنى تواطأت أي اتفقت جاءت متفقةً على أن ليلة القدر فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ من رمضان تواطأت ، أصل التواطئ من الوطئ ؛ تطأ قدم الرجل موطئ قدم أخيه ، تواطأت أي توافقت ، جاءت متفقة على أنها في السبع الأواخر من رمضان ، لم يعتمدوا هذا الذي رأوه في المنام وإنما كان اعتمادهم له بعد تأييد النبي صلى الله عليه وسلم وإقراره لما جاء في تلك الرؤى المتواطئة .

((فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ)) ؛ أي من رمضان . يستفاد من هذا الحديث أن السبع الأواخر من رمضان هي أحرى ليالي رمضان التي تُتحرى فيها ليلة القدر .

قال رحمه الله تعالى :

٢١٠ – وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنْ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ)) .

****

قال : وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنْ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ**)) ؛ انتبه لكلمة «تَحَرَّوْا» وأيضا ما تقدم في الحديث الذي قبله «فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا» ، هذا التحري هو اهتمام مسبق بهذه الليلة وشوق لبلوغها يثمر جدًا في العمل واجتهادًا في الطاعة والعبادة والذكر واغتنام لخيراتها وبركاتها ، أرأيتم عندما يكون الرجل متحريًا ومتشوقًا لضيف عزيز على قلبه له مكانة عليَّة في نفسه ويتحرى مجيئه بين وقت وآخر ، ولا يزال متحريًا ومشتاقًا ومتطلعًا لمجيئه ، أرأيتم عندما يأتي هذا الضيف مع ذاك التحري المسبق والشوق المسبق كيف يكون الإكرام !! وكيف تكون الحفاوة والعناية بذلك الضيف والاهتمام

!! فالتحري أمرٌ يقوم في القلب مسبقًا؛ تمنيًا وشوقًا ورغبةً وطمعًا ثم إذا جاءت تلك الليالي الشريفة العظيمة المباركة يكون العمل متناسبًا مع ذاك التحري ، فيتحراها قبل المجيء ويتحراها إذا جاءت تلك الليالي باغتنامها ، فيتحراها قبل المجيء شوقًا ، ويتحراها عندما تجيء عملا واجتهادًا في الطاعة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى .

قال ((**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنْ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ**)) أي من رمضان ، فليلة القدر –التي هي خير من ألف شهر– هي في العشر الأواخر من رمضان ، تُتحرى في العشر الأواخر من رمضان كلها ، من أول العشر إلى آخرها ، لكنها أحرى في الأوتار لمجيء بعض الأحاديث بالتنصيص على التحري في الأوتار مثل هذا الحديث حديث أم المؤمنين عائشة ((تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنْ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ)) ، فهي أحرى في الأوتار ، والجدير بالمسلم أن يكون تحريه لليلة القدر في العشر الأواخر كلها وفي الأوتار يكون أشد تحريا لتلك الليلة العظيمة المباركة.

قال رحمه الله تعالى :

٢١١ – عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَعْتَكِفُ فِي الْعَشْرِ الأَوْسَطِ مِنْ رَمَضَانَ ؛ فَاعْتَكَفَ عَاماً ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي يَخْرُجُ مِنْ صَبِيحَتِهَا مِنْ اعْتِكَافِهِ قَالَ: ((مَنْ اعْتَكَفَ مَعِي فَلْيَعْتَكِفْ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ ، فَقَدْ أُرِيتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ثُمَّ أُنْسِيتُهَا ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ مِنْ صَبِيحَتِهَا ؛ فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ وَالْتَمِسُوهَا فِي كُلّ وِتْرٍ)) . فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَكَانَ الْمَسْجِدُ عَلَى عَرِيشٍ فَوَكَفَ الْمَسْجِدُ ، فَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَعَلَى جَبْهَتِهِ أَثَرُ الْمَاءِ وَالطِّينِ مِنْ صُبْحِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ .

****

ثم ختم رحمه الله تعالى هذا الباب بهذا الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ رضي الله عنه ((**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَعْتَكِفُ فِي الْعَشْرِ الأَوْسَطِ مِنْ رَمَضَانَ**)) ؛ والاعتكاف –وسيأتي عند المصنف باب خاص به– من مقاصده العظيمة تحري ليلة القدر ، وهو من أعظم الأمور التي تعين العبد على حسن التحري لتلك الليلة العظيمة المباركة ؛ إذا كان الاعتكاف وفق السنة وهدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، أما إذا جُعل المعتكف مجمعًا للمؤانسة

والمباسطة والمزاح والالتقاء بالأصدقاء والمداعبات وأيضا الاشتغال بالجوالات وبرامجها ومُشْغلاتها وملهياتها هذه أمور تُضعف المرء عن تحصيل هذه الخيرات ونيل هذه البركات وهذه من موجبات الحرمان ؛ أن يكون المرء بدنه في موضع الطاعة لكن قلبه غافل ولاهي بسبب انشغاله بتلك الملهيات والصوارف التي تُبعده عن الخير . فمن مقاصد الاعتكاف أن يتحرى تلك الليلة ، ومن المؤسف أن يُرى بعض من يقال عنهم أنهم معتكفين في الليالي التي يتحرى أنها ليلة القدر في مزاح ودعابات وأشياء من هذا القبيل فيضيّعون على أنفسهم وعلى أيضا غيرهم اغتنام خيرات هذه الليلة وعظيم بركاتها .

قال : ((**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَعْتَكِفُ فِي الْعَشْرِ الأَوْسَطِ مِنْ رَمَضَانَ فَاعْتَكَفَ عَاماً** -أي في العشر الأوسط من رمضان- **حَتَّى إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ**)) وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي يكون خرج فيها من معتكف لأنها تكون قد انتهت العشرة الوسطى من رمضان فيكون قد خرج من المعتكف حينئذ .

((**حَتَّى إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي يَخْرُجُ مِنْ صَبِيحَتِهَا مِنْ اعْتِكَافِهِ**)) أي يكون انقضى الاعتكاف قَالَ عليه الصلاة والسلام : ((**مَنْ اعْتَكَفَ مَعِي فَلْيَعْتَكِفْ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ فَلَقَدْ أُرِيتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ**)) يعني ليلة القدر ، فانتبه إلى هذه الفائدة ما أثمنها وأعظمها ؛ أن من مقاصد الاعتكاف تحري ليلة القدر ، لأن الاعتكاف يعينك على جمعية قلبك وسلامته من التشتت والانشغال بالصوارف والملهيات ، لأنك إذا بقيت في المسجد منقطعا للعبادة غير منشغل بغيرها كان ذلك أعون لك على تحصيل هذه الليلة ونيل بركاتها . وهذا المعنى إذا تنبهت له تدرك الخطأ الذي يقع فيه بعض من يوصفون بأنهم معتكفين وهم في مشاغل ولهو في تلك الليالي ومزاح ودعابات وأصوات عالية أحيانًا حتى تشغل المصلين وتزعج القائمين الذاكرين .

قال ((**مَنْ اعْتَكَفَ مَعِي** أي في العشر الوسطى من رمضان **فَلْيَعْتَكِفْ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ** أي من رمضان **فَقَدْ أُرِيتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ثُمَّ أُنْسِيتُهَا**)) أي أنه عليه الصلاة والسلام أريها في العشر الأخيرة من رمضان ، ثم إنه من بعد ذلك كان عليه الصلاة والسلام يأمر بتحريها في العشر الأواخر من رمضان .

قال ((**فَقَدْ أُرِيتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ثُمَّ أُنْسِيتُهَا ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ مِنْ صَبِيحَتِهَا**)) قال لهم ذلك في ليلة واحد وعشرين ، وذكر علامةً أريها عليه الصلاة والسلام في منامه أنه في صبيحة تلك الليلة يسجد في ماء وطين .

قال : ((**فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ وَالْتَمِسُوهَا فِي كُلِّ وِتْرٍ**)) ؛ الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ أي من رمضان ، وَالْتَمِسُوهَا فِي كُلِّ وِتْرٍ يكون التحري أكثر ؛ يعني ينبغي على المسلم أن يتحرى ليلة القدر في العشر الأواخر كلها وترها وغير الوتر ، لكن في ليالي الوتر يكون أشد تحريًا ، وليحذر أن يفت في تحريه ما يذكر من المنامات لأن بعضها قد تُضعف بعض الناس ، أرأيتم لو أن شخصا أقبل على التحري لليلة القدر ثم قيل على سبيل المثال إنه تواطأت الرؤى أن ليلة القدر ليلة ثلاث وعشين ومال إلى ما حصل في هذه الرؤية كيف سيكون شأنه في الليالي المتبقية من رمضان!! تجد بعض الناس ربما يضعف ويفتر عن العبادة ، فالذي ينبغي هو أن يتحراها في العشر الأواخر كلها ويكون أشد تحريًا في الأوتار كما وجَّه عليه الصلاة والسلام ؛ قال ((فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ وَالْتَمِسُوهَا فِي كُلِّ وِتْرٍ)) ؛ وانظر إلى هذا الأمر بالتحري لها في العشر الأواخر وفي الوقت نفسه ذكر لهم العلامة التي أريها في المنام ، فكانت صبيحة ذلك اليوم مع الأمر بالتحري في العشر كلها مع وجود هذه الرؤية أمرهم بالتحري في العشر الأواخر كلها وأن تكون الأوتار أشد تحريا .

قال : ((**فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ**)) ليلة واحد وعشرين .

((**وَكَانَ الْمَسْجِدُ عَلَى عَرِيشٍ**)) أيضا هنا قف وتأمل المسجد النبوي الذي جمع ذلك الوقت أفضل العبَّاد في أمة محمد عليه الصلاة والسلام مع إمامهم وقدوتهم صلوات الله وسلامه عليه ، في أي مسجد وكيف كانت صفتهم وهم أكمل العبَّاد في الأمة وأعلاهم شأنا وخيرهم وأفضلهم ، ماذا كانت صفة ذلك المسجد ؟ قال : ((وَكَانَ الْمَسْجِدُ عَلَى عَرِيشٍ)) ؛ المسجد جوانبه جدرانه من عسبان النخل ، وأعمدته جذوع النخل ، وسقفه من سعف النخل ، تكاد أن تكون كل مكوناته من النخل . والنخلة سبحان الله عظيمة البركة وإن كنا في هذا الزمان لا ندرك الكثير من بركاتها وخيراتها ، وقد أشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى ذلك في الحديث عندما قال : ((إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَةِ المسْلِمِ هِيَ النَّخْلَةُ ، مَا أَخَذْتَ مِنْهَا مِنْ شَيْءٍ نَفَعَكَ)) كل شيء نافع في النخلة ، كل أجزاء النخلة نافعة وهذا يدركه الأولون . ومسجد

النبي عليه الصلاة والسلام في ذلك الوقت كل مكوناته من النخلة ؛ الأعمدة السواري الأعمدة والسور سور المسجد والسقف كل المكونات من النخلة وهي شجرة مباركة ، يكفي هذه الشجرة بركةً وأنها أفضل الشجر على الإطلاق أن الله سبحانه وتعالى ضربها مثلا للمؤمن ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم:٢٤-٢٥] .

أتي النبي عليه الصلاة والسلام يوما بجمَّار نخلة ، وجمار النخلة قلب النخلة وهو حلو الطعم جميل المذاق أبيض اللون ، فأخذه النبي عليه الصلاة والسلام وأكل منه ثم وضعه بين يديه وقال : ((أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشْبِهُ أَوْ: كَالرَّجُلِ المسْلِمِ لاَ يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا، وَلاَ وَلاَ وَلاَ)) هكذا لفظ الحديث في الصحيح أي عدَّد لهم شيء من صفاتها ، وأمامهم جمار النخلة ، قال ابن عمر راوي الحديث «فخاض الصحابة في شجر البوادي» كلٌ يسمي شجرة من أشجار البوادي وأمامهم جمار النخلة وسيلة تقريب للجواب أمامهم ، فخاضوا في شجر البوادي قال ابن عمر : « فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ لاَ يَتَكَلَّمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ» احترامًا وأدبًا في هذا المقام وجود أبي بكر ووالده عمر ، فلما سكت القوم قال النبي صلى الله عليه وسلم ((هِيَ النَّخْلَةُ)) ، يقول ابن عمر «فلما خرجنا قلت لأبي وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ» قال : « لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا» . فالحاصل أن النخلة شجرة عظيمة مباركة ، ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت كان جميع مكوناته وما جُعل لبنائه كله من النخلة .

قال ((**وَكَانَ الْمَسْجِدُ عَلَى عَرِيشٍ فَوَكَفَ الْمَسْجِدُ**)) أي صار يصب الماء من سقف المسجد ، وأرض المسجد تراب ليس هناك رخام وفراش وإنما تراب حصباء ، والسقف عريش ، فلما نزل المطر تلك الليلة خرَّ في المسجد ونزل في أرض المسجد فمطرت السماء تلك الليلة وكان المسجد على العريش فوكف المسجد يعني صبَّ الماء في المسجد .

يقول أبو سعيد ((**فَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَعَلَى جَبْهَتِهِ** -في بعض الروايات وأنفه- **أَثَرُ الْمَاءِ وَالطِّينِ**)) ويستفاد من هذه الرواية «على جبهته وأنفه» أن السجود على سبعة أعضاء والعضو السابع هو الجبهة والأنف معًا ، لأنه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جبهته وأنفه أثر الطين عندما سجد عليه الصلاة والسلام ، وكان سجوده عليه

الصلاة والسلام على إثر تلك الليلة العظيمة المباركة التي هي خير الليالي على ماء وطين ؛ سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

((**فَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَعَلَى جَبْهَتِهِ أَثَرُ الْمَاءِ وَالطِّينِ مِنْ صُبْحِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ**)) أي أنها كانت ليلة القدر تلك السنة ليلة إحدى وعشرين ، ولذلك ذكر جماعة من أهل العلم أن من خصائصها أنها تتنقل في ليالي العشر ، يعني ربما تكون سنة إحدى وعشرين ، وسنة مثلا سبع وعشرين ، وسنة ثلاث وعشرين ، وهكذا ؛ ذكر هذا جماعة من أهل العلم .

الحاصل أن هذه الليلة العظيمة المباركة ينبغي أن يكون المسلم عظيم التحري لها شديد العناية بها عظيم الحرص على اغتنام خيراتها وبركاتها وأن يتحراها في العشر الأواخر من رمضان كلها ، وأن يكون في الأوتار منها أشد تحريا لكن لا يتوقف عن التحري إلى آخر ليلة ، حتى ليلة ثلاثين لو تم الشهر وكانت الليلة ليلة ثلاثين أيضا يتحرى ليلة القدر عملًا بعموم قوله ((فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ)) ، لكن في الأوتار منها يكون أشد تحريا .

أسأل الله الكريم أن يبلغنا أجمعين تلك الليلة العظيمة المباركة ، وأن يغنّمنا أجمعين من خيراتها وبركاتها إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه .